إيجاز البيان عن معاني القرآن

للإمام محمود بن أبي الحسن النيسابوري
المتوفى بعد سنة ٥٥٣ هـ

دراسة وتحقيق
الدكتور
حنيف بن حسن القاسمي

المجلد الأول

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص . ب . 5787-113 بيروت

٣٠ ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾: «إذ» دلالة على معنى في الماضي[(١)]، وتأويله: اذكر إذ قال ربك.

﴿خليفة﴾: أي: آدم[(٢)]، أو جميع بنيه يخلف بعضهم بعضاً[(٣)]، أو أولو الأمر منهم، فهم خلفاء اللّه في الحكم بين الخلق[(٤)] وتدبير ما على الأرض.

وفي حديث ابن عباس[(٥)] أن أعرابياً قال له: أنت خليفة رسول اللّه، فقال: لا أنا الخالفة بعده.

والخالفة الذي يستخلفه الرَّئيس على أهله.

---

(١) انظر تفسير الطبري: ١/ ٤٤٣، وحروف المعاني للزجاجي: ٦٣، ورصف المباني: ١٤٨، والجنى الداني: ٢١١، والدر المصون: ١/ ٢٤٧.

(٢) المعنى أنه خلف من سلف في الأرض قبله، فخليفة على هذا «فعيلة» بمعنى «فاعله» أي: يخلف من سبقه.
وأخرج الطبري هذا القول في تفسيره: (١/ ٤٥٠، ٤٥١) عن ابن عباس رضي اللّه عنهما والربيع بن أنس، وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٦١، كتاب التفسير، باب «سورة البقرة» عن ابن عباس وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي».
قال الطبري رحمه اللّه: «فعلى هذا القول ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ من الجن يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها».

(٣) ذكره الطبري في تفسيره: ١/ ٤٥١، وقال: وهذا قول حكي عن الحسن البصري. اهـ.
فـ «خليفة» على هذا القول «فعيلة» بمعنى «مفعولة» أي: مخلوف.

(٤) هذا المعنى فهمه الطبري رحمه اللّه من الرواية التي أخرجها في تفسيره: (١/ ٤٥١، ٤٥٢) عن ابن عباس وابن مسعود رضي اللّه عنهما وهي: أن اللّه جل ثناؤه قال للملائكة: «إني جاعل في الأرض خليفة». قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً». قال الطبري: «فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس: إني جاعل في الأرض خليفة مِنّي يخلفني في الحكم بين خلقي. وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة اللّه والحكم بالعدل بين خلقه...». وقال البغوي في تفسيره: ١/ ٦٠: «والصحيح أنه خليفة اللّه في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه».

(٥) كذا في النسخ الثلاث، وفي تاج العروس: ٢٣/ ٢٧٨ (خلف): وفيه حديث ابن عباس.

﴿أتجعل فيها من يفسد﴾ على التألم أو الاغتمام لمن يفسد، وعلى الاستعظام للمعصية مع جلائل النِّعمة، أو على استعلام وجه التدبير فيه[(١)] أو على السؤال أن يكونوا الخلفاء فيسبحوه بدل من يفسد فقال اللَّه: إني أعلم من صلاح كل واحد ما لا تعلمون فدلهم به على أنَّ صلاحهم في أن اختار لهم السماء وللبشر الأرض، وفي قوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ إشارة إلى أنَّ ذلك الخليفة يكون من ذريته أهل طاعة [وولاية][(٢)]، وفيهم الأنبياء والعلماء، ولا تتم مصلحة الجميع إلا بما دَبَّرتُه من خَلْقِ من يفسد ويعصي معهم[(٣)].

٣١ ﴿وعَلَّم ءادمَ الأسماء كُلَّها﴾: أي: بمعانيها على اللُّغاتِ المختلفة[(٤)]، فلما تَفَرَّق ولدُه تكلَّم كل قوم بلسان أحبوه وتناسوا غيره.

وتخصيص الأسماء لظهورها على الأفعال والحروف، كقوله[(٥)]: ﴿واللّهُ خَلَق كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء﴾، ولم يكن التعليم بالعلم الضروري ولا / [٥/أ] بالمواضعة[(٦)] والإيماء تعالىٰ اللَّه عنه، بل بالوحي في أصول الأسماء والمصادر ومباديء الأفعال والحروف عند حصول أول اللُّغة بالاصطلاح ثم زيادة الهداية في التصريف والاشتقاق.

٣١ ﴿عرضهم علىٰ الملائكة﴾: أي: المسمَّيات[(٧)] لقوله: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾.

---

(١) ذكره الزجاج في معاني القرآن: ١/ ١٠٩ وقال: «وتأويل استخبارهم هذا على جهة الاستعلام وجهة الحكمة، لا على الإنكار، فكأنهم قالوا: يا اللَّه، إن كان ظننا فعرفنا وجه الحق فيه».

(٢) في الأصل: وولادة، والمثبت عن نسخة «ك» و «ج».

(٣) انظر تفسير البغوي: ١/ ٦١، والمحرر الوجيز: (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣١)، وزاد المسير: ١/ ٦٠، وتفسير القرطبي: ١/ ٢٧٤، وتفسير ابن كثير: (١/ ٩٩، ١٠٠).

(٤) انظر تفسير البغوي: ١/ ٦١، والمحرر الوجيز: ١/ ٢٣٥، وتفسير القرطبي: ١/ ٢٨٤.

(٥) سورة النور: آية: ٤٥.

(٦) المواضعة: الموافقة على النظر في الأمر، وفي القاموس: ٩٩٧: «وهلم أواضعك الرأي: أطلعك على رأيي، وتطلعني على رأيك».
وينظر اللسان: ٨/ ٤٠١، وتاج العروس: ٢٢/ ٣٤٣ (وضع).

(٧) قال الفراء في معاني القرآن: ١/ ٢٦: «فكان ﴿عرضهم﴾ على مذهب شخوص العالمين =